تجدّد القصف الاميركي للفيتنام : لمـ... وإلى ماذا؟

"التفاؤل" الاميركي في جنوب شرق آسيا...

في ٢١ تشرين الثاني الجاري اعلن راديو هانوي ان ست طائرات اميركية قد اسقطت خلال غارات اميركية على فيتنام الشمالية . واعلن بيان صادر عن القيادة العليا في هانوي ان الغارات العدوانية الاميركية على فيتنام الشمالية استهدفت المناطق الاهلة والمؤسسات الاقتصادية ، وتسببت في سقوط عدد من القتلى المدنيين . وحذر البيان من استمرار الاميركيين الاميركيين بعدوانهم الاحمق ، وانتهاك حرية اراضي جمهورية فيتنام الديمقراطية ، وهدد من ان القوات المسلحة وكافة الشعب في فيتنام الشمالية ، سيرد على العدوان بضربات اشد .

وفي واشنطن ، في اليوم ذاته ، اعلنت وزارة الدفاع الاميركية ان الغارات كانت موجهة ضد مواقع الصواريخ والقواعد المضادة للطائرات ، وقال ملفين ليرد وزير الدفاع ان الغارات كانت ردا على هجمات فيتنام الشمالية ضد طائرات الاستطلاع الاميركية غير المسلحة التي تحلق فوقها !

الا ان صحيفة « واشنطن بوست » الطلعة ذكرت بان الغارات الاميركية « المحدودة زمنيا » ، تستهدف الرد على الاندفاع المفاجيء في عمليات القصف التي يقوم بها الثوار في فيتنام الجنوبية كجزء من سياسة نيكسون : اللكم واللكم المضاد .

واذا كان البنتاغون قد امتنع عن الافصاح بعدد الطائرات التي اشتركت في الغارات ، فان مصدرا قدر عددها بمئتي طائرة .

معنى استئناف قصف الشمال

وقد وصفت هذه الغارات العدوانية التي استؤنفت مجددا ، بانها اضخم عملية جوية منذ سبعة اشهر عند غزو كمبوديا ، وكانت هذه العملية في الاسبوع الماضي بداية لسلسلة عمليات جوية اميركية واسعة النطاق في المنطقة ، وما تزال مستمرة . وقد سبق هذه السلسلة الجديدة تعزيز البنتاغون الاسطول الجوي ، باكبر حاملة طائرات في العالم « رينجر » التي استبدلت بها مؤخرا ، الحاملة « اورينسكي » . وهي تقل طائرات حربية اكثر تطورا ، وكانت حاملة الطائرات « هانكوك » – ٧٥ طائرة – قد وصلت الى خليج تونكين يوم السبت ، موعد استئناف قصف فيتنام الشمالية ، كما يتوقع وصول حاملة اخرى ، هي في طريقها الان من الولايات المتحدة ، وذلك زيادة في تعزيز الاسطول الجوي الاميركي في الهند الصينية ، وكانت الطائرات الاميركية المعدة تنطلق الى فيتنام الشمالية ولاوس وكمبوديا ، من حاملات الاسطول السابع ومن القواعد في فيتنام الجنوبية وفي تايلاند . وقد بلغ عدد الغارات العدوانية الاميركية في الايام الثلاثة الاولى لهذه السلسلة الجديدة ، بضعه مئات من الغارات .

ان مسالة استئناف قصف فيتنام الشمالية مع تعزيز الاسطول الجوي الاميركي في الهند الصينية بثلاث حاملات طائرات يحمل اكثر من مغزى . فالواقع ان واشنطن لجأت الى هذه الاجراءات لتحاول اظهار حدوث تنازل من الطرف الآخر مقابل « تنازلها بقرار وقف القصف » ، ولهذا تزعم اليوم خرق هانوي لهذا التفاهم الزعوم ، لتبرر استئناف القصف ، لتغطية المواقع

خلفية التفاؤل الاميركي

والواقع ان واشنطن لجأت الى هذه الاجراءات عن « تفاهم غامض » – نفته هانوي نفيا قاطعا – لتحاول اظهار حدوث تنازل من الطرف الآخر مقابل « تنازلها بقرار وقف القصف » ، ولهذا تزعم اليوم خرق هانوي لهذا التفاهم المزعوم ، لتبرر استئناف القصف ، لتغطية المواقع المتخلخلة ، حتى لا تعترف بفشل غزو كمبوديا او تتم ابادة وحدة ميليشيا . وانه اذا كانت بعض الاقاليم في اقصى الشمال ابعد ما تكون عن الهدوء ، بل مسرحا لاشتباكات عنيفة ، فان الاكثرية الساحقة من الفيتناميين الجنوبيين لم تعد معرضة للقتال – فقد تم نقلها الى شبه معسكرات اعتقال ، او تجميع في مناطق اقرب الى العاصمة وتقع تحت السيطرة العسكرية الحكومية .

٢ – استمرت خلال السنتين الاخريتين عملية سحب القوات البرية الاميركية بنسبة مطمئنة حتى للقيادة العسكرية الاميركية في سايغون . كان هناك اكثر من ٥٠٠ الف جندي اميركي في فيتنام ، في حزيران ١٩٦٩ . وفي ايار ١٩٧١ عند اتمام المرحلة الاولى من الانسحاب ، سيكون هناك نصف هذا العدد . ومع نهاية العام الذي يليه ، موعد انتخابات الرئاسة الاميركية ، يكون العدد قد انخفض الى ٢٠٠ الف جندي .

٣ – استمرار عملية الاستبدال ، واستلام القوات البرية الحكومية ، مهمات القوات البرية الاميركية ، توسيع الجيش الحكومي ، الذي اصبح افضل تدريبا وعتادا ، مع استمرار الدعم الجوي الاميركي ، والدعم الاميركي له في عمليات صاروخ على العاصمة ، او ان تحاصر قرية ، بعض الاقاليم في اقصى الشمال ابعد ما تكون عن الهدوء ، بل مسرحا لاشتباكات عنيفة ، فان الاكثرية الساحقة من الفيتناميين الجنوبيين لم تعد معرضة للقتال – فقد تم نقلها الى شبه معسكرات اعتقال ، او تجميع في مناطق اقرب الى العاصمة وتقع تحت السيطرة العسكرية الحكومية .

٢ – استمرت خلال السنتين الاخريتين عملية سحب القوات البرية الاميركية بنسبة مطمئنة حتى للقيادة العسكرية الاميركية في سايغون . كان هناك اكثر من ٥٠٠ الف جندي اميركي في فيتنام ، في حزيران ١٩٦٩ . وفي ايار ١٩٧١ عند اتمام المرحلة الاولى من الانسحاب ، سيكون هناك نصف هذا العدد . ومع نهاية العام الذي يليه ، موعد انتخابات الرئاسة الاميركية ، يكون العدد قد انخفض الى ٢٠٠ الف جندي .

٣ – استمرار عملية الاستبدال ، واستلام القوات البرية الحكومية ، مهمات القوات البرية الاميركية ، توسيع الجيش الحكومي ، الذي اصبح افضل تدريبا وعتادا ، مع استمرار الدعم الجوي الاميركي ، والدعم الاميركي له في عمليات نقل ونشر القوات ، اي استمرار الدور الاساسي الاميركي مع تخفيض نسبة الضحايا الاميركيين لاعتبارات الجبهة الداخلية الاميركية .

٤ – يعتقد الاميركيون ان الثوار الفيتناميين والقوات الفيتنامية الشمالية لم يكونا اضعف عسكريا ، مما هما عليه اليوم . وبالتالي فانهم يستبعدون امكانية ان يستانف الطرفان العمليات الهجومية ضد المدن ، ويشيرون الى ان ابتعاد القتال الى مناطق بعيدة يسمح للسكان باستئناف حياتهم العادية .

٥ – نجاح حكومة ليو في استعادة السيطرة على بعض الاجزاء في الريف التي كانت تخضع لادارة الثوار ، عمليا ، ويعتبرون ذلك نجاحا لبرنامج التطهير والتهدئة .

ولكن هذا التفاؤل الاميركي كان قائما على خطا عدم التمييز الهام بين السيطرة العسكرية والسيطرة السياسية ، وعلى عدم معرفة ما اذا كان محو كل ما من شانه ان يعطل نشاطهم التنظيمي نتيجة حملات « التطهير والتهدئة » ، في الريف .

وكان افضل دليل على النجاح الذي تحقق على هذا الصعيد ، اعتراف وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية في تقرير رفعته مؤخرا ، ذكرت فيه انه بالرغم من السيطرة الحكومية (عسكريا) على ٦٠٪ من السكان ، فان اي قرار بوقف اطلاق النار سؤدي الى خسارة الحكومة سيطرتها على ٢٠ اقليم على الاقل ، من اصل ٤٤ اقليم . ورغم التعمد الظاهر في تسريب بعض معلومات هذا التقرير لغايته التحريضية الواضحة ، فانها تشكل دليلا على فشل حملات « تهدئة الريف » .

ومن جهة اخرى ، فان حملات الحكومة الثورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية ، الاعلامية ، وبياناتها السياسية ، والتغيير في الاستراتيجية العسكرية وتركيزها على القضايا التنظيمية والسياسية ، في الفترة الاخيرة ، كلها تشير بان تلك الفترة التي شهدت الانخفاض في العمل العسكري المباشر وان كانت قد استخدمت في السعي لتجاوز العراقيل التي طرات في مسائل التموين والاتصالات على اثر غزو كمبوديا ، لم تكن بفعل ضعف في القدرات العسكرية ، بل بفعل اختيار متعمد لتقوية الوضع التنظيمي والموقف السياسي وقد اثبت الفشل المتكرر لـ « عملية فونيكس » التي تستهدف قمع البنية السياسية للجبهة ، حسن استخدام الجبهة لفترة التخفيف النسبي في العمل العسكري المباشر ، والذي حمل المخططين العسكريين الاميركيين على تجاهل التفاؤل الرسمي الاميركي المعلن والتوضية بالعودة الى « العدو الثابت والظاهر » مرة اخرى .

فواشنطن تامل من استئناف القصف لفيتنام الشمالية ، الموقع الظاهر ، والسند الاقوى للمد الثوري لتحري في الهند الصينية ، بعد تراكم دلالات الفشل في فيتنام الجنوبية ، وفشل غزو كمبوديا من تحقيق اهدافه ، مع فتحه جبهة ثالثة ، تامل باشغال هانوي وعرقلة او تخفيف عمليات دعمها ومساندتها للثوار على الجبهات الثلاث ، خاصة وانها في سباق مع الوقت ، في سايغون وكمبوديا ، حيث النظامين على وشك السقوط في ازمة اقتصادية عنيفة في حال استمرار الوضع القائم ، وتجديد الثوار لحملاتهم الهجومية المكثفة على المدن ، وفي واشنطن حيث مثل هذه الامكانية ستشكل تهديدا جديا لنيكسون في عام ١٩٧٢ ، موعد التجديد للرئاسة الاميركية .

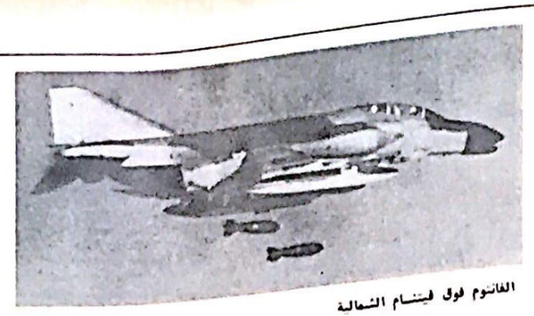

الفانتوم فوق فيتنام الشمالية

– مشهد من عمليات فيتنمة الحرب الاميركية في فيتنام .

زمام المبادرة في يد من ؟

لقد كان اغلاق مرفا سيهانوكفيل في كمبوديا ، عام ١٩٦٩ ، والغزو الاميركي لكمبوديا في نيسان ١٩٧٠ ، سببا في تعطيل وعرقلة عملية تدفق المؤن والاتصالات ، ولكن الثوار عادوا فوجدوا ردا على تلك العراقيل التي طرات ، وهم ينشئون منذ فترة ، شبكة من المعامل لا تمكن مهاجمتها عمليا ، وذلك في مناطق بعيدة شمالي وشمالي شرقي كمبوديا ، وحيث لا يمكن قمعهم الا بعملية هجوم واسعة النطاق من قبل القوات الاميركية والفيتنامية الجنوبية ذات المعرفة بطبيعة الارض فيها ، وهذه المناطق تتصل اتصالا مباشرا بفيتنام الشمالية ، بواسطة طرق في الادغال .

ولهذا السبب ، ورغم تفاؤلها في الفترة الاخيرة ، كانت واشنطن تتردد في الزعم بان زمام المبادرة في القتال في الهند الصينية ، قد اصبح في يدها . واعترف مسؤول عسكري اميركي كبير ان الذي تحتاجه واشنطن هو معرفة المزيد عما يدبره الثوار الفيتناميون للفترة القادمة . وهذا اعتراف ضمني في الواقع بان دوافع التفاؤل الاميركي طوال الشهور القليلة الماضية ، كانت في حيز التمني اكثر منها في حيز الواقع ، كما كان الاميركيون يتساءلون في الفترة الاخيرة ، في محاولة معرفة حقيقة السبب في الانخفاض في العمليات العسكرية المباشرة للثوار ، كما اذا كانت الجبهة ستنجح في تجميع قواتها واستئناف عملياتها الهجومية عند موعد سحب الفرق القاتلة البرية الاميركية في عام ١٩٧١ ، الذي من شانه ان يضع واشنطن في موقف حرج على الجبهة الداخلية ، امام امكانية تجديد الثوار لهجماتهم المكثفة وبالتالي تخريب ترتيبات واشنطن لعام ١٩٧١ و ١٩٧٢ عندما تكون حملة انتخابات الرئاسة الاميركية في اوجها .

الصورة في لاوس

وكان هذا السؤال الاميركي المتخوف يمتد الى لاوس ، حيث تتزايد قدرات الباتيت لاو باستمرار ، وحيث ما تزال هانوي قادرة على تعرير المؤن والدعم للثوار بالرغم من عمليات قصف طريق هوشي منه ، والى كمبوديا ، حيث العاصمة بحاجة مستمرة الى الغطاء الجوي الاميركي ووجود القوات الحكومية السايغونية لحمايتها ، رغم ان لدى نظام لون نول ما بين ٥٠ الف الى ٦٠ الف جندي ، وحيث الانفصال بين العاصمة والريف ما زال قائما ، وستضطر الحكومة الاميركية الى تقديم مساعدات كلاسة اضعاف القيمة التي كانت قد قررتها في الاصل ، لمنع الاقتصاد من الانهيار .

وكانت جبهة التحرير الوطني الفيتنامية قد تبنت مؤخرا استراتيجية « حرب استنزاف » ، وقامت بتفتيت قواتها الى كتائب او فرق صغيرة ، وحتى الى مجموعات فدائية ، تقلل من امكانية تعرضهم وتعطيهم مرونة اكثر في التحرك ، وان كانت ستخفض من نسبة العمليات الواسعة النطاق . وكانت خلال هذه الفترة التي شهدت انخفاضا في عملياتها العسكرية المباشرة ، قد اعطت الاولوية للعمل السياسي ، واحدى مهماته كان محو كل ما من شانه ان يعطل نشاطهم التنظيمي نتيجة حملات « التطهير والتهدئة » ، في الريف .

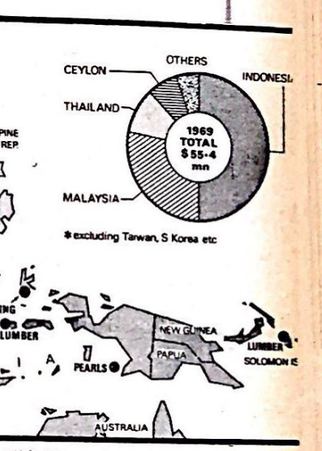

التوظيفات اليابانية في جنوب شرق آسيا

صعود الامبريالية اليابانية الجديدة

الناتج القومي الاجمالي (١٩٧٠)

اليابان	٢٠٠ مليار دولار
استراليا	٣٣ مليار دولار
اندونيسيا	١٥ مليار دولار
الفيليبين	١٠ مليار دولار
كوريا الجنوبية	٨ مليار دولار
تايلند	٩ مليار دولار
فرموزا	٦ مليار دولار
نيوزيلندا	٦ مليار دولار
كمبوديا ، لاوس	١٧ مليار دولار
بورما ، ماليزيا ...	
المجموع	١٠٢ مليار دولار

وقد كان لتظفل اليابان اوسع المجالات خاصة في جنوب كوريا وفرموزا . ولذلك سببان : الاول يرجع الى الجغرافيا الا وهو قرب هذين البلدين من اليابان ، والثاني يرجع الى التاريخ الا وهو كون البلدين كانا مستعمرين من قبل اليابان قبل ١٩٤٥ ، وكانت احدى نتائج معاهدة الصلح التي وقعت سنة ١٩٦٥ بين البلدين ، ان منحت اليابان مساعدات لكوريا تقدر بـ ٥٠٠ مليون دولار مقابل فتح اسواق كوريا امام البضائع والتوظيفات اليابانية .

واليوم ، اصبح فائض الميزان التجاري بين البلدين لصالح اليابان بنسبة ٥ الى ١ .

وليس الوضع مع فرموزا لمصلحة اليابان بنفس المقدار ، لكن فائض التبادل مع فرموزا يبلغ حجما لا يستهان به . ولم تردد اليابان في كلتا الحالتين امام استعمال فائضها التجاري في توظيفات صناعية داخل القطرين المعنيين ، تقوي ارباحه وموقعه : في كوريا الجنوبية مثلا ، يوجد ١٨٣ مليون دولار من التوظيفات الاجنبية ، تملك الولايات المتحدة من اصلها ١١١ مليون دولار وتملك اليابان ٤٤ مليون دولار كما مع مشروع مجمع للبتروكيماويات وعدة مشاريع اخرى ، سوف يغطي بسرعة المساحة التي تفصله من موقع التوظيفات الاميركية .

وتتردد القصة بالنسبة لباقي جنوب شرق آسيا : ان لليابان فائضا تجاريا مرتفعا مع تايلاند ، وتحتل التوظيفات اليابانية المرتبة الاولى بين التوظيفات الاجنبية في هذا البلد . وللبابان وجود ظاهر ايضا في باتوكوك – عبر الشبكات التجارية وشركات استيراد السيارات التي يسيطر اليابانيون عليها ، ولكن البلد الذي يحظى باكثر قدر من « العطف » اليابانيين هو دون شك اندونيسيا حيث الثروات الطبيعية الوفيرة – وليس النفط اقلها – وحيث السوق الاستهلاكي الواسع الذي يضم ١٠٠ مليون نسمة ، وخلال السنتين الماضيتين ، انصب تيار جارف من الرساميل اليابانية لاستخراج وتصدير ثروات اندونيسيا الكامنة لصالح الاحتكارات الصناعية اليابانية .

وتتوزع النشاطات اليابانية في جنوب شرق آسيا عبر الاتجار و « المساعدات » والاستثمار ، على مجالات واسعة ، وهناك نوعان اساسيان من النشاطات اليابانية :

■ ١ – الصناعات التي تستفيد من رخص اليد العاملة المحلية كما في كوريا الجنوبية وفرموزا .

■ ٢ – الصناعات التركيبية والنظيفة كما في اندونيسيا ، او الخشب كما في ماليزيا وبرنيو .

وقد انخذت عدة توظيفات يابانية طابع الشراكة مع الرساميليين المحليين في عدد كبير من التوظيفات الصغيرة الحجم ، والتي تشكل بكثرتها شبكة تمتد الى كل مرافق الحياة الاقتصادية في البلد المعني .

وتعطي الاحتكارات اليابانية الافضلية للتوظيفات في الموارد الطبيعية ، وبالنسبة لاندونيسيا مثلا ، كانت توظيفات اليابان عام ١٩٦٩ في خشب برنيو ، ونفط سومطرا ، وزراعة جاوا ، قد بلغت سوى ٦٦٨ مليون دولار عام ١٩٦٩ (!!) وخلال السنوات الماضية ، ازداد نفوذ وتغلغل اليابان في جنوب شرق آسيا بشكل مضطرد وملحل ، وكانت لدى الطبقة الحاكمة اليابانية نظرة مستقبلية ومبرمجة لتوسعها في ما تعتبره مجالها الحيوي . ولكي نعطي فكرة عن التفاوت في الحجم والنمو ما بين اليابان و « مجالها الحيوي » تثبت الارقام التالية :

بلغ حجم الاقتصاد الياباني ضعفي حجم اقتصاد جميع اقطار جنوب شرق آسيا بما فيها استراليا ونيوزيلندا . وتؤكد توقعات « مركز الابحاث الاقتصادية اليابانية » ان تيار الرساميل اليابانية المتوجة نحو التوظيفات الخارجية سوف يتراوح ما بين ٢٥٠٠ و ٧٥٠٠ مليون دولار عام ١٩٧٥ ، بينما لم تكن هذه الرساميل الخارجة بما فيها النسيج الاصطناعي ، وقد وظف اليابان اموالا ضخمة لاقامة معامل نسيج في تايلاند ، ويخطط الان لتوظيف اموال اضخم في معامل اخرى في اندونيسيا .

وليست اليد العاملة العنصر الوحيد الذي يصبح نادرا في اليابان يوما بعد يوم ، بل هناك ايضا الارض والهواء (في عصر تلوث الهواء) . وقد قام اليابانيون في الاشهر الاخيرة باعادة النظر في سياسة تحديد مواقع الصناعات ، ووصل بهم التحليل الى ضرورة تصدير اكثر مصانعهم تلويثا للهواء وتفريغا للنفايات لكي « تعطر » الاجواء الاستوائية الاسيوية !!

وتخطط الاحتكارات اليابانية حاليا لفقرة اقتصادية تخرجها من جنوب شرق آسيا بضيق بها وباطماعها في النهب وجني الارباح ، رغم انها لا تزال تخطط لمشاريع كبيرة في هذه المنطقة كمشروع مجمع للبتروكيميائيات في تايلاند تبلغ تكاليفه ٨٠ مليون دولار وتشارك فيه بعض الراسماليين المحليين .

ويفكر الراسماليون اليابانيون باستراليا القريبة حيث النمو الربح والموارد الطبيعية الهائلة وتغدر الشركات المعدنية اليابانية ان السنوات القليلة سوف تشهد زحفا كبيرا للرساميل اليابانية باتجاه استراليا . لكن هناك عدة مشاريع تنوي الوصول بالاحتكارات اليابانية الى ابعد من ذلك بكثير : منها مشروع الاشتراك باستثمار نفط الاسكا ، ومشروع لاستخراج نحاس الكونغو ، ومشروع شراء بعض المصارف اللندنية واخيرا بكثر الحديث في هذا الشهر بالذات عن مشروع توظيف ٥٠ مليون دولار في نحاس البيرو .

وهكذا بعد ٢٥ عاما من هزيمة النظام الفاشستي الياباني ، نعود الاحتكارات اليابانية لتغزو آسيا من جديد ، ثم توسع افقها على حجم عالمنا الارضي وتبدأ بمزاحمة الاحتكارات الاوروبية والاميركية في « عقر دارها » في افريقيا واميركا اللاتينية ، بعد ان اصبح الاقتصاد الياباني ثالث اقتصاد في العالم بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، ولا يزال ينمو بسرعة مذهلة تبلغ ١٠٪ عاما بعد عام !!